المدرسة ـ (تحليل لمكوناتها البشرية و المادية و النفسية ـ السلوكية ـ)

أ.مغتات العجال
جامعة وهران 2 محمّد بن أحمد
essalam-1@hotmail.fr

تاريخ الإرسال: 2018/05/23 ؛ تاريخ القبول: 2018/05/31

Résumé :

Cette recherche intitulé l'école (Analyse de ses composantes psychologiques humaines, physiques et comportementales), s'inscrit dans le contexte des recherches théoriques, qui vise à définir les concepts et la terminologie d'une part, et d'essayer de les relier à certains éléments d'une part comme ses trois composants, tout en essayant aussi de définir ses différents fonctions.

Mots Clés : L'école ; Les composantes de l'école ; Les fonctions de l'école.

الملخّص:

يندرج هذا البحث الموسوم ب"المدرسة"(تحليل لمكوناتها البشرية و المادية و النفسية ـ السلوكية) ، ضمن البحوث النّظريّة التي تسعى للتّعريف بالمفاهيم و المصطلحات من جهة، و محاولة ربطها ببعض العناصر ذات الصّلة بها من جهة أخرى كالمكونات الثلاثة المؤثرة في بنائها، إلى جانب محاولة التّعريف بوظائفها المختلفة.

الكلمات المفتاحية:

المدرسة; مكونات المدرسة; وظائف المدرسة.

تمهيد

تعتبر المدرسة المؤسسة التربوية الأكثر أهمية بين سائر المؤسسات الاجتماعية إلى جانب الأسرة التي لا يقل دورها هي الأخرى عن مساندة المدرسة في هذه المَهمة الحساسة "مَهمة إنتاج المواطن الصالح"، نظرا لدورها الفعال في تحقيق أهداف المجتمع و السير على فلسفته بطريقة عملية هادفة و منظمة، ونظرا لمكانتها و لمكانة الاتصال داخلها كظاهرة اجتماعية، صار الاهتمام بها ظاهرا من خلال الدراسات والأبحاث المتجددة التي مافتئت تكشف طبيعتها و كيفية تمظهر تلك العلاقات داخلها.

و خصوصا في الإدارة التعليمية التي تعتبر "عاملاً من العوامل التي ترتكز عليه كل مؤسسة لتأدية الدور المنوط بها و خاصة الإدارة المدرسية التي تتميز عن غيرها من الإدارات العامة بكبر حجمها، و خصوصية إشرافها على قاصرين و اعتمادها على العلاقات الإنسانية المبنية على التعاون و التشاور، و الابتعاد عن كل أسلوب تتجاذبه النزعة التسلطية، أو الاتكالية...الخ "[6]، حيث أصبح الاتصال ضروريا لضمان سيرورتها و ديناميتها من خلال قيام العلاقات الإنسانية و المهنية بين أفراد الوسط المدرسي، و نظرا لأهمية الاتصال في المدرسة باعتبارها الوسيلة التي أبتدعها المجتمع لنقل تراث حضارته ونشر نتاج ثقافته وتوجيه تلاحق أجياله الوجهة الصحيحة لينهلوا من العادات الفكرية و العاطفية و الاجتماعية لكي تساعدهم على التكيف السليم في المجتمع المصغر على غرار المجتمع الكبير، و لكي تدفعهم إلى تحقيق قفزة نوعية في تحقيق تقدم المجتمع كذلك و الرقي به نحو مسار الأمم المتطورة.

إذن المدرسة ما هي إلا مؤسسة أنجزها المجتمع لكي يشرف على العملية الاجتماعية من خلال تربية الأجيال و توجيه النشء الوجهة الصحيحة، لأن الإنسان حسب الفيلسوف الألماني (كانْت، Kant) "لا يستطيع أن يتحول إلى إنسان إلا بالتربية"، و هذه التربية (Education) "هي تبليغ الشيء إلى كماله، أو هي كما يقول المحدثون تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيئا فشيئا، نقول ربيت: ربيت الولد، إذا قويت ملكاته، و نميت قدراته و هذبت سلوكه، حتى يصبح صالحا للحياة في بيئة معينة"[7]، وتعرف كذلك على أنها "عملية نمو الفرد" [8].

أما (إميل دور كهايم، E. Durkheim) فيرى في استخدام مصطلح التربية بأنه مقتصر على "التأثير الذي تمارسه الأجيال الراشدة على تلك التي لم تتهيأ بعد للمشاركة في الحياة الاجتماعية"[9]، والمدرسة هي المؤسسة التي بها يمرر المجتمع نتاجه الحضاري و

الثقافي لأجياله المتلاحقة و يمرر لجيل المستقبل تجربة جيل الماضي و أهدافه و مخططاته و مشاريعه المستقبلية، و بالتالي تحقق الصلة بين السلف و الخلف من خلال العملية الاجتماعية و التربوية، وهذا في إطار مهيكل و منظم، لأن المدرسة ما هي إلا مؤسسة رسمية و نظامية تشرف عليها الدولة ماديا و معنويا.

1 . مفهوم و تعريف المدرسة

"يرجع أصل لفظ المدرسة (école) إلى الأصل اليوناني (schole) و الذي يقصد به وقت الفراغ الذي يقضيه الناس مع زملائهم أو لتثقيف الذهن"[10]. و يرى بعض الباحثين أن لفظ المدرسة قد تطور مع الزمن ليشير فيما بعد إلى التكوين الجماعي المؤسسي أو إلى المكان المخصص للتربية و التعليم، أما حديثا فصار يدلّ على المدرسة كمؤسسة اجتماعية تختص بتربية الأجيال بشتى أنواعها الحسية و الفكرية والنفسية والاجتماعية و الأخلاقية للأطفال و المراهقين في إطار يوافق ما يستدعيه المكان و الزمان، أما "مفهوم المدرسة بالتحديد فقد ظهر إثر الانتقال الذي عرفه الفعل التربوي من مَهمة تتكلف بها الأسرة إلى مَهمة عمومية و ذلك في المرحلة الهيلينية"[11]، و بالتالي صارت المدرسة تلك المؤسسة العمومية التي يعهد إليها دور التنشئة الاجتماعية للأفراد وفق منهاج و برنامج يحددهما المجتمع حسب فلسفته.

و نلاحظ مدى التقارب بين الكلمتين اليونانية (schole) و الإنجليزية (School) كتابة و معنىً، أما في القاموس الفرنسي فتعرف المدرسة على أنها مؤسسة يقدم فيها تعليم جماعي. و يفضلها التلاميذ...، (école : n.f. Etablissement où se donne un enseignement collectif. Tous les élèves qui la fréquentent...)[12] هذا عن أصل تسميتها تاريخيا؛ أما عن التعريفات الشائعة عنها هي أنها المؤسسة التي تعمل على تربية النشء (Education) و تنشئته (Socialisation)، و إعداد الأجيال ليكونوا مواطنين صالحين مفيدين لأنفسهم ولوطنهم. من خلال تسلحهم بسلاح العلم و المعرفة من جهة، و تشبثهم بقيمهم الإنسانية الرفيعة من جهة أخرى، حتى يضمنوا ديناميكية المجتمع الذي ينتمون إليه، سواء كان محليا أو إنسانيا، و حتى يتحقق التواصل من جيل إلى آخر.

و هذا لا يتأتى طبعا إلا بتحبيب التعلم للطفل حتى ينهل من منابع العلم و المعرفة. فمحبة العلم "عاطفة من العواطف المعنوية التي يتوقف نموها على كثرة التجارب؛ فالإنسان لا يحب العلم إلا إذا ذاق طعمه، و شعر بالسرور عند الحصول عليه، و بالفرح

عند القبض على ناصيته. و محبة العلم تستدعي بالطبع كراهة الجهل الذي يجعل المرء يشعر بالخجل و الخزي و الحيرة في المواقف المؤلمة الصعبة، التي تتطلب العلم و المعرفة. فالتألم للجهل يزيد في مقدار السرور بالمعرفة"[13].

و نقلا عن إحدى منتديات العلوم الاجتماعية يعرف (فرديناند بويسون) المدرسة على أنها" مؤسسة اجتماعية ضرورية تهدف إلى ضمان عملية التواصل بين العائلة و الدولة من أجل إعداد الأجيال الجديدة و دمجها في إطار الحياة الاجتماعية"، و يعرفها (فريديريك هاستن) "بأنها نظام معقد من السلوك المنظم، الذي يهدف إلى تحقيق جملة من الوظائف في إطار النظام الاجتماعي القائم"، و ينظر (أرنولد كلوس) إلى المدرسة بوصفها "نسقا منظما من العقائد و القيم و التقاليد، و أنماط التفكير و السلوك التي تتجسد في بنية المدرسة، و في ايديولوجيتها الخاصة"، و يرى (شيبمان) أن المدرسة " شبكة من المراكز و الأدوار التي يقوم بها المعلمون و التلاميذ، حيث يتم اكتساب المعايير التي تحدد لهم أدوارهم المستقبلية في الحياة الاجتماعية""[14].

و إلى جانب هذه التعاريف يعرفها الدكتور(محمد زياد حمدان) على أن" المدرسة في اللغة هي اسم مصدر" مَفعَلة ". مشتقة من فعل الماضي " درس". و هي أيضا اسم مكَان يختص بدراسة و تدريس علم أو موضوع أو سلوك أو معرفة أو خبرة ...و المدرسة هي أيضا مؤسسة تربوية يعتمدها المجتمع لتطوير الناشئة أفرادا و جماعات لمواصفاتهم الشخصية و الاجتماعية و الوظيفية الفعّالة، سعيًا وراء صيانة و تقدّم حياته المحلية و هويته الحضارية العالمية "[15].

فالمدرسة "أداة لتطوير الفرد و المجتمع بالتربية."[16] و هي كذلك "مؤسسة اجتماعية و بيئة شكلية تربوية خاصة يتم فيها تدريس خبرة أو معرفة أو سلوك لفرد أو أكثر يسمّون تلاميذ أو طلابا أو دارسين أو متعلمين، بواسطة فرد آخر أو أكثر يطلق عليهم معلمون أو موجهون أو مرشدون أو مربون"[17]. و لهذا كانت المَهمة الملقاة على عاتق المدرسة مَهمة عظيمة و خطيرة " تتطلب الإعداد و التنظيم الدقيق و الفعال للركائز التي تقوم عليها المدرسة و التي تتمثل فيما يلي: إعداد للإدارة المدرسية، و للمعلمين، و جهاز الإشراف التربوي، و إعداد المناهج و الكتب المدرسية، و نظام الامتحانات و أنواعها و أساليبها، و تعاون البيت و المدرسة، والأبنية المدرسية و تجهيزاتها"[18]. فبترابط و تكامل هذه الركائز السبع و تلازمها و تفاعلها يتوقف نجاح العملية التربوية و التعليمية في المدرسة.

أما الدكتور تركي رابح فيرى أن المدرسة هي "عبارة عن مجتمع مصغر يشبه المجتمع الكبير ذلك أنها تضم العديد من التنظيمات الاجتماعية و الأنشطة و العلاقات، كذلك تشبه المجتمع الكبير من حيث نظامها الهادف لحفظ الأمن و النظام و السلم داخلها، فالتلميذ مطالب باستجابة صحيحة لقوانين المدرسة و أحكامها و إجراءاتها كي تتمكن من أداء وظيفتها و هكذا تكون المدرسة نظاما اجتماعيا يشترك فيه الأفراد كما يشتركون في النظام الاجتماعي الخارجي كما أن للمجتمع الكبير نظاماً اجتماعياً يربي أفراده فإن المدرسة تربي أفرادها" [19]. و يضيف بأنها "تقوم بمنح العاملين فيها تعليما و تدريبا"[20].

و تعرف المدرسة عند كل من المختصين محمد سلامة و محمد غباري على أنها" ما هي إلا مجتمع صغير نستطيع من خلاله أن نعد الأفراد لفهم فلسفة المجتمع الكبير في تحقيق أهدافه و ذلك عن طريق تعاون الأفراد و تضامنهم داخل المجتمع المدرسي عن أسس وطيدة من العلاقات الإنسانية التي تسعى المدرسة إلى تكوينها بين التلاميذ و بعضهم و بين التلاميذ و مدرسهم و عندئذ ينشأ التلميذ و يصبح مواطنا صالحا مستعدا للتعاون و التضامن داخل المجتمع الكبير و هذه مصلحة المدرسة في التربية القومية"[21].

أما الدكتورة كلير فهيم المختصة في الطب النفسي للأطفال و المراهقين، فإنها ترى أن المدرسة ليست بناء و فناء أو ساحة و راحة ، تتيح للتلاميذ قدرا من الحرية و النشاط، بل ترى أن المدرسة هي" أولا و قبل كل شيء؛ ألوان من العلاقات الحية المتشابكة فيها بكيانها المادي، و جوهرها المعنوي، وأعضاء الهيئة التربوية و الصحية و تلاميذها معا"[22]. و هنا ندرك مدى العلاقات الحية المتولدة عن الاتصال بين كل من يسبح في فضاء المؤسسة التربوية المتمثلة في المدرسة. و هذه العلاقات ناتجة بدورها عن مشاعر مرتبطة بالانفعالات المختلفة قد تكون فردية أو جماعية،" و على المدرسة أن ترعى نمو هذه المشاعر و أن تهيئ لها الجو المناسب في المعارض و بين جدران الفصل و في أوجه النشاط المختلفة حتى نزيد من استمتاع الفرد بالحياة"[23].

و تعرف المدرسة على أنها" هي المكان الذي يقضي فيه التلميذ فترة محددة من حياته و يلقى في أحضانها كل العناية و المساعدة طيلة مساره المدرسي و ليكتسب المعارف و ينمي مهاراته و يطور قدراته ويبني مواقفه...و لكي يكون قادرا ليس فقط على إدراك مختلف الظواهر و إنما التأثير فيها و تحويلها إلى وسائط تمكنه من مواصلة التعلم

طوَال حياته"[24]. وهي المكان الذي يعُبُّ فيه المتعلمُ قيم المجتمع و حيث يتم تهيئة أطفال اليوم ليصبحوا في المستقبل مواطنين مندمجين بصورة كاملة في صلب مجتمعهم ومتفتحين، في نفس الوقت، على العالم المعاصر. و بهذا المفهوم تساهم المدرسة إلى حد بعيد في توطيد الانسجام الاجتماعي و نقل القيم الاجتماعية و الثقافية"[25] ، و لأن هؤلاء الأطفال هم رجال الأمة كما يؤكد (محمد الخضر حسن) ذلك بقوله:"لا يدري كثير من الناس أن الطفل واحد من رجال الأمة، إلا أنه مستتر بثياب الصِّبا"[26].

2 ـ أنواع المدرسة حسب مراحل التعليم الرّسمي

هناك مدارس "حسب مرحلة التعليم الرسمي الخاص بها، و تكون: رياضاً للأطفال، وابتدائية ، و ثانوية، ثم جامعية"[27]، ونشير أن المرحلة المتوسطة أو الإكمالية هي مكملة للمرحلة الابتدائية كما هو معروف بالأطوار (الطور الأول و الثاني"الابتدائي"، ثم الثالث" المتوسط").

و يمكن شرحها فيما يلي بنوع من التفصيل من خلال ضبط السلم التعليمي "الهيكل التعليمي"[28] لها:

ا ـ رياض الأطفال:

أو ما يطلق عليها بالمدارس التحضيرية لتهيئة الملتحقين بها من الأطفال في سن الخامسة فما فوق، وتدريبهم على بعض المهارات اللغوية و الكتابية من حروف و أرقام و أشكال و ألوان وتحفيظ لبعض السور القرآنية القصيرة و الأناشيد غيرها، وتعتبر مرحلة تمهيدية بمعنى الكلمة للمرحلة الابتدائية، مع الإشارة أن مرحلة الحضانة و رياض الأطفال (3 ـ 5 سنوات)" تمثل... في علم النفس مرحلة الطفولة المبكرة، حيث يكون الأطفال أكثر حاجة لتعلم لغتهم العربية الأصلية، و التمكن من آلياتها نطقا و كتابة، وأكثر قدرة على التعبير اللغوي الصحيح، و ما يرتبط بذلك من تدريب عضلات اللسان و الحبال الصوتية في بداية نموها"[29]. مع الإشارة للتعميم التدريجي للتربية ما قبل المدرسية لفئة الأطفال البالغين خمس سنوات.

ب ـ المدرسة الابتدائية:

و هي مرحلة أساسية و رسمية لجميع الأطفال لكي يلتحقوا بمدارس الوطن قصد التنشئة الاجتماعية المتمثلة في التربية و التعليم حيث يتعلمون المواد الأساسية من قراءة و كتابة و حساب باعتبارها أساس كل المراحل اللاحقة، مع العلم أن التعليم في

الجزائر "تعليم مجاني للجميع ابتداء من مدارس الحضانة ورياض الأطفال، حتى نهاية الدراسات الجامعية"[30]، إلى جانب أنه "تعليم إجباري لجميع الأطفال ذكورا و إناثا ابتداء من السادسة من العمر إلى نهاية السادسة عشرة و هي نهاية المرحلة الأساسية و أن لكل جزائري الحق بالالتحاق بالمدرسة الأساسية"[31].

و هذا يتوافق مع ما نصت عليه المادة السادسة و العشرين في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في بندها الأول على أن "لكل شخص حق في التعلم، و يجب أن يوفر التعليم مجانا، على الأقل في مرحلتيه الابتدائية و الأساسية، ويكون التعليم الابتدائي إلزاميا، و يكون التعليم الفني و المهني متاحا للعموم. ويكون التعليم العالي متاحا للجميع تبعا لكفاءتهم"[32]، إضافة إلى البند الثاني من نفس المادة و الذي يركز على أهمية التعليم بأنه" يجب أن يستهدف التعليم التنمية الكاملة لشخصية الإنسان و تعزيز احترام حقوق الإنسان و الحريات الأساسية.

كما يجب أن يعزز التفاهم و التسامح و الصداقة بين جميع الأمم وجميع الفئات العنصرية أو الدينية، وأن يؤيد الأنشطة التي تضطلع بها الأمم المتحدة لحفظ السلام"[33]، أما في البند الثالث فركّز على دور الآباء من خلال الإشارة أن "للآباء، على سبيل الأولوية، حق اختيار نوع التعليم الذي يعطى لأولادهم"[34]. وتمتد الدراسة في هذه المرحلة من سن السادسة إلى سن الحادية عشرة كما أقره إصلاح النظام التربوي من خلال "تخفيض مدة التعليم في المرحلة الابتدائية من 6 إلى 5 سنوات"[35] من خلال إعادة التنظيم الشامل للمنظومة التربوية، و تختتم هذه المرحلة بامتحان شهادة التعليم الابتدائي(BEP) [36].

و يتميز تعليم هذه المرحلة ب"الحد الأدنى اللازم من المواطنة"[37]، كما أنه يعتبر "أبعد أنواع التعليم عن الإنتاجية و العائد الاقتصادي"[38] حسب المختصين في الاقتصاد،. و عن الحلول التي قدمها رجال التربية للمتخرجين من المرحلة الابتدائية الذين لم يكملوا تعليمهم بالنسبة لفرص العمل، بقولهم أن التلميذ لا تتضح و تنكشف قدراته و ميوله إلا بعد سن الخامسة عشر و هو السن الذي يكون فيه التلميذ في المستوى المتوسط. أما رجال الاقتصاد فرأوا أن التخصص ليس المطلوب في مجال معين، بل المقصود هو تدريب التلاميذ على عدة مجالات حتى تظهر لديهم المهن التي يميلون إليها، و التي تتناسب مع قدراتهم واستعداداتهم في الصف الرابع و الخامس. ويرون أنه

يجب تقديم دراسات نصف مهنية عن طريق مراكز التدريب المهني بعد الصفين المذكورين.

ج - المدرسة الإعدادية (المتوسطة أو الإكمالية):

و هي المرحلة التي سنهتم بها في بحثنا، لكونها مرحلة حساسة نظرا للتحولات التي تطرأ على التلميذ فيزيولوجيا و سيكولوجيا و نعني بها "المراهقة الأولى"[39]، أما تعريف المرحلة المتوسطة فهي مرحلة مكملة للمرحلة الابتدائية و تحضيرية نحو الثانوي، تمتد فيها الدراسة أربع سنوات كاملة بدل ثلاث سنوات حسب الإصلاحات الجديدة من سن الثانية عشرة إلى سن السادسة عشرة التي اعتمدت "تمديد مدة التعليم في المرحلة المتوسطة من 3 إلى 4 سنوات"[40]، و هي تمكن المتعلم من أخذ قدر من المعرفة و قسط من الثقافة و التأهيل في وقت قصير، و بالتالي تمكنه من مواصلة الدراسة أو الالتحاق بمراكز التكوين المهني للاندماج في الحياة العملية.

و تختتم هذه المرحلة الإلزامية بامتحان شهادة التعليم المتوسط (BEM)[41]، إلى جانب إتباع سياسة التوجيه التربوي لتلاميذ مستوى السنة الرابعة بين شعبة آداب و علمي على حسب رغباتهم و ملامحهم المستنتجة من معدلاتهم السنوية خلال نهاية السنة الدراسية، و يلاحظ التلميذ في هذه المرحلة وجود بعض التغييرات كاختصاص كل مدرس بمادة أو أكثر، و هو ما لم يتعوّد عليه في مرحلة التعليم الابتدائي، إضافة إلى وجود مستشار للتربية و مساعِدِين تربويين يسهرون على رعايته و تكوينه.

و من الاختلافات تعامله لأول مرة مع لغة ثانية (الإنجليزية) في هذا المستوى، وخضوعه لنمط تقويم جديد يتمثل في الفروض و الاختبارات الفصلية التي يُمتحن فيها و بعدها تقيّم في مجالس الأقسام في نهاية كل فصل من خلال وضع حصيلة إجمالية لعملية تقويم التلميذ بعدها تدون النتائج و الملاحظات في بيان كشف النقاط (Bulletin)، إلى جانب تعرفه على عملية انتخاب مندوبي الأقسام الذين سيتولون تمثيله للعمل على توحيد الجهود من أجل دعم روح المسؤولية و التضامن و خلق مناخ للتفاهم و الاحترام، وتوطيد العلاقة بين التلاميذ و الأساتذة و الإدارة. أما عن الميول التي تحدثنا عنها سابقا في مرحلة الابتدائي بعد سن الخامسة عشرة؛ فإن الدكتور (إبراهيم عصمت مطاوع) يرى بأنها "لا تظهر بعد في هذا السن، وأدخل بديلا عنها الدراسات العملية...و لذا يجب أن تتبع هذه المرحلة أيضا مراكز تدريب مهنية" [42] (مراكز التكوين المهني).

د - المدرسة الثانوية:

و تدوم فيها الدراسة ثلاث سنوات من سن السادسة عشرة إلى سن الثامنة عشرة و فيها يتلقى التلميذ تعليما عاما و فنيا، و في هذه المرحلة تتكشف و تتضح ميول و استعدادات التلاميذ، "و من ثم تتنوع الدراسة وفقا للفروق الفردية في الميول و الاستعدادات (ثانوي عام - زراعي - صناعي - تجاري - مدارس صناعية متخصصة لمدة خمس سنوات - عسكري). و يتبع هذه المرحلة مراكز تدريب مهنية"[43].و هي مرحلة هامة لأن الطلاب يسعون لقطف ثمرة جهودهم التي بذلوها في المرحلة الابتدائية و المتوسطة، إضافة إلى أنها مرحلة حرجة بالنسبة للطالب حيث يحيا فيها مرحلة "المراهقة المتوسطة"[44] التي يجب أن تتبع بالتوجيه السليم من طرف الأولياء و المربين في إطار القيم الاجتماعية و الأخلاقية والتربوية اللينة بسبب التصرفات و السلوكيات التي تظهر عند طلاب المرحلة الثانوية، و تختتم هذه المرحلة بامتحان شهادة البكالوريا أو ما تسمى بالثانوية العامة في المشرق.

ه - مرحلة التعليم الجامعي:

و تمتد بها الدراسة سبع سنوات حسب "نظام ل.م.د L .M .D"[45] الجديد الذي نصت عليه الإصلاحات الجامعية، و هي مقسمة كالآتي: ثلاث سنوات للحصول على الليسانس، و سنتان للماستر، و ثلاث سنوات للدكتوراه، و تتم الدراسة في معاهد و كليات، حيث يتوجه كل طالب حسب قدراته بعد دراسات الجذع المشترك ليلتحق بتخصص معين تظهر فيه إمكاناته و استعداداته العقلية و الدراسية.

3 - مكونات المدرسة:

إن المدرسة مؤسسة أنشأها المجتمع لحاجة اجتماعية تتمثل في تطبيع أفراد المجتمع تطبيعا اجتماعيا، قصد جعلهم أعضاء صالحين، و لكي تقوم كذلك بدور نبيل يتمثل في " تربية و تعليم الصغار، نيابة عن الكبار الذين شغلتهم الحياة، إضافة إلى تعقد و تراكم التراث الثقافي"[46]، و حتى تقوم المدرسة بهذه المهام الجوهرية عليها أن تنطلق من أرضية صلبة تتمثل في المكونات التي ترتكز عليها و هذه المكونات تجعلنا نبعد عن المدرسة العدمية و الفراغ، لأن "المدرسة لا توجد من العدم و لا تعمل في فراغ، بل تنتمي بيولوجيا و ماديا و سلوكيا للبيئة الاجتماعية المحيطة، كما تتكون بشريا و سلوكيا نفسيا و شكليا من مجموع ما تمنحه لها أسر المجتمع من متعلمين و معلمين و إداريين و خدمات بشرية و مادية و تربوية مساعدة"[47].

و يرى الدكتور إبراهيم عصمت مطاوع أن "مكونات المدرسة ثلاثة، المدرس، و التلميذ. و المنهج، أما بقية الأشياء في المدرسة من مبانٍ، و إداريين و غيرهم، إنما هم وسائل مساعدة للقيام بالعملية التعليمية، وذلك رغم أهميتها، و بالتالي فإنه لا يتخيل وجود مدرسة بدون تلميذ أو مدرس أو منهج، و لكن الثلاثة كل متكامل لابد من توافره لقيام المدرسة"[48]. أما الدكتور محمد زياد حمدان فإنه يسترسل في عرض مكونات المدرسة بكثير من التوضيح حيث يرى بأنها الأساس التي تقوم عليها المدرسة التي تمد المجتمع بالتربية المدرسية. و هذه التربية لا تتأتى إلا بوجود هذه المكونات السابقة الذكر، و يحصرها في ثلاثة عناصر أساسية مقسمة بدورها إلى عناصر ثانوية وسنأتي على ذكرها بالترتيب:

ا. المكونات البشرية للمدرسة:

و تتلخص في كل من المعلمين و المتعلمين و الإداريين و الخدمات البشرية المساعدة و نبدأ بشرح كل مكون على حدة.

1. المعلمون:

و هم من بين أهم المكونات البشرية إلى جانب التلاميذ أو المتعلمين في مفهوم التربية المدرسية. و هناك من يعتبر أن هذا المكون البشري المتمثل في المعلم (المدرس) "هو صاحب المعرفة يقدمها و ينظمها، و هو الذي يختار الأدوات و يستعملها و هو الذي يحكم على أعمال التلاميذ وفق معايير يفرض فيها سلطته..."[49] ، أما في المناهج التربوية الحديثة يعتبر المعلم" (الأستاذ) منشطا و منظما و ليس ملقنا وهو بذلك:

- يسهل عملية التعلم و يحفز على الجهد و الابتكار.
- يعد الوضعيات و يحث المتعلم على التعامل معها.
- يتابع باستمرار مسيرة المتعلم من خلال تقويم مجهوداته."[50]

2. المتعلمون:

"و هم الأطفال في مدارس ما قبل المرحلة الابتدائية التي نسميها عادة رياض الأطفال، و التلاميذ في المؤسسة الابتدائية، ثم الطلاب و الدارسون في المراحل الثانوية و الجامعية و ما يوازيهما من معاهد ومؤسسات تعليمية أخرى"[51].

و من الخصائص التي يجب أن يتحلى بها هؤلاء المتعلمين في الوسط المدرسي هي :

. الحافزية للمدرسة و التعلم و الحياة المدرسية، و تعني شعور المتعلم من خلال ميله الإيجابي و الذاتي نحو المدرسة و مكوناتها البشرية و النفسية/السلوكية و البيئية و المادية. و اعتقاده بدور المدرسة في تحقيق رغباته و تلبية طموحاته الشخصية و العملية.

. القدرة على التحصيل الدراسي، و تتحقق بتوفر الاستعداد الخاص أو الذكاء المقبول للمتعلم لكي يتعلم المواد المدرسية المقررة. حتى يتميز عن ضعيف العقل الذي يكون في مدارس خاصة به.

. القدرة على التركيز و المثابرة، حيث يجب على المتعلم أن لا يكتفي بالتحصيل فقط بل عليه أن يمتلك القدرة على التركيز أثناء مَهمة التعلم ثم المثابرة على تحقيق هذه المهمة بالتدريج.

. الانتظام في الحياة المدرسية، و يتمثل في احترام المتعلم لقانون المدرسة الداخلي باعتبارها مؤسسة نظامية تسعى لغرس هذا السلوك المتمثل في (النظام) في نفسية المتعلم.

. الارتقاء من حالة إلى أخرى، و بهذا الارتقاء يدرك المتعلم أنه بصدد الحصول على معارف (إدراكية واجتماعية و عاطفية...) تشعره بأنه يحقق نوعا من الخبرة الحياتية و الرقي الفكري.

تعتبر المقاربة الجديدة للمناهج (المقاربة بالكفاءات) المتعلم محورا أساسيا لها و تعمل على إشراكه في مسؤولية قيادة و تنفيذ عملية التعلم، و هذا المتعلم محور العملية التعليمية هو عنصر نشيط فيها ، و"هو:

. مسؤول على التقدم الذي يحرزه .

. يبادر و يساهم في تحديد المسار التعلمي.

. يمارس و يقوم بمحاولات يقنع بها أنداده و يدافع عنها في جو تعاوني.

. يثمّن تجربته السابقة و يعمل على توسيع آفاقها . " [52]

3 . الإداريون و خدماتهم المساعدة:

و يقصد الدكتور محمد زياد حمدان بالإداريين كل من المدير و المراقب و الوكيل، إلى جانب الفئة التي تساعدهم و تتمثل في الموجهين/المشرفين والمرشدين الطلابيين/المشرفين الاجتماعيين.

أما عن مواصفات الإداريين السلوكية العامة و مسؤولياتهم الوظيفية اليومية، فيمكن حصرها في النقاط الآتية:

. مواصفات خاصة بمدير المدرسة، و تتمثل في قدرته على إدارة المؤسسة باعتبارها مجتمعا محليا مصغرا، ماديا و معنويا، إداريا و تعليميا، تخطيطا و اتصالا، تنسيقا و توجيها، تنظيما و تطبيقا... وكل هذه المواصفات يجب أن تساير معرفته الأكاديمية و التطبيقية لكل ما له علاقة بالمدرسة كبناء و كمجتمع.

. مواصفات خاصة بوكيل المدرسة، وتتمثل في معاونة المدير في عمله اليومي ، أما في حالة غياب المدير الجزئي أو الكلي ، فإن الوكيل هو الذي يتولى إدارة المؤسسة فوظيفته مشابهة لوظيفة المدير.

. مواصفات خاصة بالمراقب، و يتمثل دوره في التعامل البناء مع فئات المدرسة، إلى جانب قدرته على الحرص على الانضباط داخل المؤسسة و ضبط سيرها الإداري (كالتسجيل و التصنيف و التنظيم...)، فدوره مساعد للمدير.

مواصفات خاصة بالمشرف أو الموجه، أو ما يطلق عليه بالمفتش، و يعتبر شخصية ذات رؤية تربوية نافذة و موجهة تسعى" لكشف مواطن القوة و الضعف في عملية التربية المدرسية، و خاصة ما يرتبط بالتدريس ثم توجيهها لمزيد من الإيجابية و العطاء."[53] إضافة إلى اهتمام المشرف بقياس كفاية التدريس وتحسين المعلمين (المدرسون) وظيفيا أثناء الخدمة.

. مواصفات خاصة بالمرشدين الطلابيين، و تتمثل في اهتمامهم بالمتعلمين (التلاميذ) سلوكا و تحصيلا وتحفيزا وتأهيلا و نفسيا و حياتيا و أكاديميا.

مع العلم أن هذه المواصفات أو السلوكيات و المسؤوليات الوظيفية تصاحبها مجموعة من الكفايات وتتلخص في المعرفة الأكاديمية و التطبيقية لكل ما له علاقة بالوسط المدرسي، و هذه الكفايات يتصف بها كل من المدير و الوكيل و المراقب و المشرف و المرشد الطلابي مع مراعاة دور و وظيفة كل واحد ضمن البناء العام للمؤسسة.

ب ـ المكونات المادية للمدرسة:

و تتمثل المكونات المادية للمدرسة في العناصر التالية:

1 ـ البيئة الشكلية:

و يقصد بها البناء المدرسي بكل ما احتواه من منشآت (أقسام، مختبرات، مدرجات، مكتبة، ساحة، قاعة التربية الفنية و الرياضية، المسرح المدرسي، مطعم، و يطلق على هذه البيئة الشكلية بالتسهيلات المدرسية. التي يجب أن تتصف بالاتساع و التنوع و التكامل في صيغتها الشكلية. و أن تكون مؤهلة لحماية المعلم و المتعلم و غيرهم أثناء الحر و القر (صيفا و شتاء)، و" أن يكون موقعها في متناول البيئات المحيطة و الفئات البشرية المتنوعة المكونة أساسا للمدرسة"[54] ، أي قريبة من قاصديها معلمين و متعلمين من خلال موقعها المتوسط و المناسب للجميع.

2 . المناهج المدرسية:

و هي الوثائق التربوية المكتوبة المخصصة لعمليات التعليم و التعلم أو لخبرات التعلم المقصودة الهادفة و الواعية، فهي من" أهم العوامل المادية التربوية تكوينا للمدرسة"[55] ، لأنه إذا لم تتوافر المناهج كيف يمكن لمؤسسة ما أن تربي أجيالا و تغرس فيهم قيما و معارف و سلوكيات و خبرات متنوعة.فلا مدرسة بدون مناهج ولا تربية مدرسية، و من خصوصية المنهج أن يحمل فلسفة المجتمع و قيمه الاجتماعية و الثقافية ليتم تلقينها للنشء في شكل تراث ثقافي و اجتماعي إلى جانب العلم و المعرفة.

ومصطلح المنهاج في الأدب التربوي "يشمل كل العمليات التكوينية التي يساهم فيها التلميذ تحت مسؤولية المدرسة خلال فترة التعلم"[56] ، أي "كل المؤثرات التي من شأنها إثراء تجربة المتعلم خلال الفترة المعيّنة"[57]، و المناهج في بنائها تعتمد على الأهداف التربوية كأساس لتوجيه عملية التعليم و التعلم. والمناهج نوعان: صفية كالمناهج الثقافية و الاجتماعية القومية و العلمية و التكنولوجية، و أخرى لاصفية كمناهج "توفير الأنشطة الرياضية و الفنية و ربطها بالمؤسسات و النوادي و المراكز الثقافية و الرياضية والاجتماعية. و هذا يؤدي إلى زيادة الصلة بين أفراد مجتمع المدرسة من جهة و بين مجتمع المدرسة والمجتمع المحلي"[58].

3 . التجهيزات المدرسية:

و يقصد بها كل التجهيزات التي تخدم عملية التعليم والتعلم كالأثاث المدرسي كالمقاعد و المكاتب والخزائن و الأدوات الأساسية للتعلم و التدريس، كالسبورة و المخبر و كل الأدوات التي تخص التربية الفنية والمنزلية و الرياضية، و الأرفف أو الرفوف المكتبية، وغيرها من التجهيزات الفنية الحديثة أو البسيطة التي تسهل عملية التعليم

أو التدريس سواء في المدارس الحضرية أو الريفية. إلا أن" الأصل فيها أن تكون متوفرة كعامل مساعد لمفهوم المدرسة و لتوفير الحاجات الفسيولوجية (الراحة الجسمية) الأولية للمتعلمين"[59].

4 ـ مواد و وسائل و تكنولوجيا التعليم:

و هي كل ماله علاقة مباشرة بعملية التعليم و التعلم ، و هي كل ما يستعين به المعلمون و المتعلمون خلال عمليات التعلم و التعليم (التدريس) لرعاية تفاعلهم معا في الصف الدراسي (القسم)، و هي الوسائل التي يعتمد عليها المعلمون في إعداد الدروس و شرحها للمتعلمين، حتى تسهل عليهم عملية التعلم التي تنعكس على عملية تحقيق التحصيل الدراسي المطلوب.

5 ـ الجداول العملية المدرسية:

و تتمثل في كل التنظيمات المتنوعة التي لها صلة بالتربية و الإدارة و التشغيل، و التي يتم تبنيها لإدارة الحياة اليومية المدرسية. باعتبار "المدرسة مؤسسة تربوية اجتماعية تقوم عمليا على نظام له مدخلاته و عملياته و مخرجاته، فإن الجداول العملية تعد ظاهرة صحية بناءة لمفهوم المدرسة و لرسالتها الإنسانية اليومية"[60]. و هذه الجداول عليها أن تكون مرنة و قابلة للتعديل و التنفيذ و أن تكون معلنة غير سرية، قصيرة (يومية) أو متوسطة (شهرية أو فصلية) أو طويلة المدى (سنوية أو أكثر).

6 ـ الميزانية المالية:

هي المبالغ المالية التي يلزم توفيرها للمدرسة حتى تضمن سيرورتها في هذا الزمن الصعب اقتصاديا، وهذه الميزانية هي التي تعمل على تأسيس عوامل و عمليات المدرسة المختلفة، ثم تشغيل و تحريك هذه المكونات لتحقيق الأهداف التربوية المنشودة. و يجب أن يتوفر في الميزانية الكفاية الكمية التمويلية للمشاريع، وديمومتها المتمثلة في السيولة المستمرة لضمان وجود المدرسة، و احتواؤها على بند لتمويل الحاجات الإضافية. و خاصة ما يرتبط بعملية التعليم (التدريس) التعلم.

ج ـ المكونات النفسية / السلوكية للمدرسة:

على المدرسة أن تتوفر فيها بعض المؤشرات النفسية / السلوكية، حتى تكون مدرسة تربوية واجتماعية ومنتجة لها نظامها الخاص و رسالتها اليومية السامية، و هذه السلوكيات هي:

ـ توفر ثلاث سلوكيات يومية، و هذه السلوكيات تتمثل في سلوك التعلم الخاص بالمتعلمين، و سلوك التعليم (التدريس) الخاص بالمعلمين، و السلوك الأخير و الخاص بأفراد الإدارة من إداريين و عاملين مساعدين. وهؤلاء من خلال سلوكياتهم هم الذين يحددون هوية المدرسة التي ينتمون إليها، لها رسالتها الخاصة بها.

ـ انتظام منتسبيها من متعلمين و معلمين و إداريين و عاملين في التردد عليها و الحضور اليومي إلى المدرسة في الدوام المقرر لها.

ـ التغير السلوكي الإيجابي: و يتمثل في التأثير الإيجابي على الناشئة (المتعلمين) من خلال نتيجة التحصيل الدراسي المنهجي الذي يعد مؤشرا على تميز المؤسسة التربوية (المدرسة) عن غيرها من المؤسسات الأخرى (الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية و الإدارية)، و حتى المعلمين فهم كذلك يتطورون وظيفيا و سلوكيا من خلال تعاملهم اليومي مع أفراد الوسط المدرسي.

ـ التصرف ضمن إطار خلقي و إداري و عملي و هذا الإطار يتمثل في احترام النظم و القوانين المؤسساتية للمدرسة.

ـ التسلسل الهرمي الإداري في مسؤولية أفراد المجتمع المدرسي و محاسبة بعضهم للآخر. كل واحد مسؤول أمام المسؤول عنه و الجميع مسئول أمام الإدارة الوصية.

ـ "الشعور بالأمن و الانتماء و الجدوى الاقتصادية كحال الإداريين و المعلمين و العاملين غالبا، و التربوية كما هو الأمر مع المتعلمين"[61].

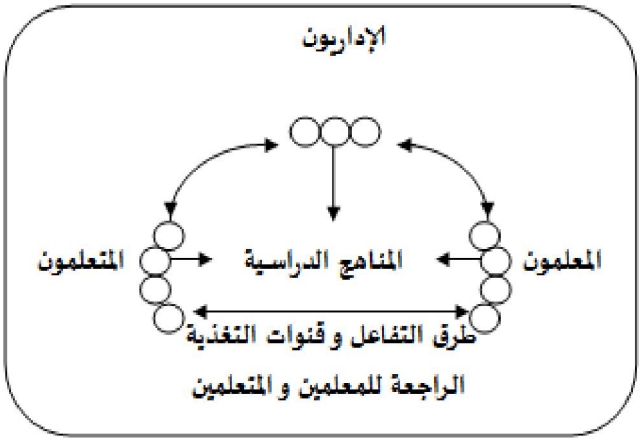

مخطط توضيحي: يبين العوامل المعيارية المكونة لمفهوم المدرسة1

4 . خصائص المدرسة

لقد قال أحد التربويين أن "هناك مؤسسات رئيسية خمس تتولى أمر الحضارة محتفظة بماضيها و صائنة حاضرها و مؤمّنة مستقبلها التقدمي و هذه المؤسسات هي: البيت و المدرسة و الدولة و مؤسسة العمل و مؤسسة الدين. و تقوم كل منها على فكرة جوهرية تبرر وجود المؤسسة و تبين الخدمة"[62]. و نظرا لهذه المكانة التي تحتلها المدرسة ضمن هذه المؤسسات الخمس، فهي تتصف ببعض الخصائص التي سنلخصها في هذا العرض:

ـ إن المدرسة تضم فئتين أساسيتين و معروفتين و هما المعلمين الذين يقومون بتعليم التلاميذ، من خلال قيامهم بأدوارهم المنوطة بهم ويتصفون بصفاتهم الأكاديمية و التعليمية، أما الفئة الثانية فتتمثل في التلاميذ (المتعلمين) الذين يتصفون باستجاباتهم للرسالة التعليمية و يختلفون في شخصياتهم و تقبلهم للمادة و تفاعلهم مع المدرس و كذلك في تقديراتهم الدراسية و النجاح.

ـ" إن المدرسة لها سياستها و منهجيتها الخاصة"[63]، و هذا يتأتى من خلال تعاون الإدارة مع الطاقم التعليمي في إنجاح العملية التعليمية داخل المدرسة و نقل هذا التأثير إلى خارجها حيث يظهر هذا التألق في تفوق تلاميذها و براعة معلميها و خبرة إداريها و كل هذا ضمن إطار تعاوني للرقي بمستوى التلميذ خصوصا و المؤسسة عموما.

ـ أن المدرسة" تمثل مركزا للعلاقات الاجتماعية و التفاعل الإنساني بين الإدارة التعليمية و تلاميذها التي تحكمها عادات وتقاليد مجتمعية نابعة من التربية و الأخلاق"[64].

ـ إن المدرسة هي الأسرة الثانية للتلاميذ بعد الأسرة الطبيعية المكونة من الوالدين و الإخوة، فالمدرسة هي المكان الذي تنطبع في ذهن التلميذ(المتعلم) صورا جميلة عنها تجعله يحن إليها من خلال الاشتياق لأساتذته و رفاق الدراسة الذين قضى معهم أجمل ذكرياته الدراسية و الحياتية، فهي مكان للتفاعل الاجتماعي (Interaction social)، " فكلما كانت المدرسة ناجحة في أدائها...، كانت قدوة حسنة في مسيرة التلاميذ العلمية و العملية التي تؤيدها الحضارة "[65].

5 . وظائف المدرسة

باعتبار المدرسة مؤسسة اجتماعية، فهي تقوم بعدة وظائف أساسية جعلتها تحتل الدور الأكبر في بناء العقول و إعداد الأجيال الإعداد الأمثل، و السليم المبني على القواعد العقلية و الوجدانية، من خلال الإشباع العلمي و التربوي للأجيال الصاعدة. و

بتعبير آخر يمكن القول بأن المدرسة هي المؤسسة التي تساعد الفرد على الربط بين اكتشاف ذاته و مجتمعه من خلالها، و عن طريقها يخط أولى خطواته إليه، مع الإشارة أن هذه الوظائف ظهرت "عندما بدأت المجتمعات تتطور و أخذت الحياة الاجتماعية في التعقيد أصبحت الأسر و المجتمعات غير قادرة على القيام بوظيفتها التعليمية و بدأ المجتمع يبحث عن وسائل بديلة لتعليم أبنائه و كان هذا الاهتمام بداية لظهور مستوى معين في التربية المقصودة و هنا بدأ التفكير في إنشاء المدرسة بشكلها التعليمي"[66]. و في هذا السياق نعرض أهم وظائف المدرسة من خلال الآتي:

ا. الوظيفة التعليمية التكوينية:

و تتلخص هذه الوظيفة في تعليم النشء (الأطفال) القراءة و الكتابة و الحساب، إلى جانب تلقينهم المعارف الدينية و التاريخية و الأدبية و العلمية و اللغوية، و هذا عبر برامج Programme أو مناهج Curriculumأو مقررات منظمة و محددة حسب المواد المرتبطة بها من جهة ، و بالمستوى من جهة أخرى. بطريقة تدريجية مبتدئة من أدنى مستوى إلى أعلى مستوى. أي من التعليم الأولي أو الابتدائي إلى غاية التعليم العالي. كما تعمل المدرسة على إكساب الطلاب خلال كل مرحلة تعليمية كفاءات تواصلية، منهجية، فكرية، اجتماعية، وشخصية؛ و بهذه الكفاءات تسعى المدرسة إلى جعل الفرد مندمجا مع أفراد مجتمعه و متفتحا على أفراد المجتمعات الأخرى.

ب. الوظيفة التربوية:

إلى جانب الوظيفة الأولى؛ تقوم المدرسة بوظيفة ثانية مهمة و شاملة تتمثل في تربية الأطفال المبنية على احترام مجتمعاتهم و العمل على الاندماج فيها مع سائر المؤسسات الأخرى. و بفضل التربية يكتسبون قيما إنسانية سامية مرتبطة بهوياتهم و متأقلمة مع ضرورات و احتياجات المجتمع. و التربية لها دور كبير في تحديد مسار المجتمع لِمَا تكتسبه من أهمية فبها يتقدم المجتمع أو يتراجع إلى الوراء.

و لهذا نجد بعض المختصين يكررون دائما مقولتهم الآتية: كيفما تكون المدرسة يكون المجتمع أو العكس. و هذا يبين مدى انعكاس التربية على صورة المجتمع، لأن صلاح المجتمع نابع من صلاح المدرسة. " فالمدرسة عامل تنشئة اجتماعية قوي يعلم الطفل أشياء كثيرة عن نفسه و عن تفاعلات الأفراد أو المجموعات سواء معه أو فيما بينهم"[67]. و علاقة المدرسة بالمجتمع كعلاقة الأم بأبنائها. و كل هذا ينطلق من

"التربية" باعتبارها "عملية بناء سلوكي . إدراكي و عاطفي و حركي و اجتماعي للفرد و المجتمع "[68].

ج. الوظيفة الإيديولوجية:

و هي الوظيفة التي قال عنها "السوسيولوجي الفرنسي (بيير بورديو) في كتاب مع (باسرون): إعادة الإنتاج (la reproduction) ، أداة لإعادة إنتاج الثقافة و النظام السائد..."[69]. و إنتاج هذه الثقافة يعتمد بدوره على الوظيفة الثقافية باعتبارها وظيفة من وظائف التعليم، إلى جانب الوظيفة الاقتصادية والسياسية و الاجتماعية. و"الهدف من وراء هذه الوظيفة هو نقل ثقافة المجتمع و حضارته من جيل إلى جيل لآخر بما تحتويه من قيم و معايير و اتجاهات"[70].

و في عصرنا الحاضر تعمل المدرسة على مسايرة التغيرات الاجتماعية و الاقتصادية و التقدم العلمي المطرد في ميادين العلوم و الاختراعات، من خلال التوفيق بين مختلف الوظائف التي تم عرضها ، و دون أن تستفرد وظيفة على أخرى، و أن تضع مستقبل المجتمع بأكمله كغاية كبرى (Finalité). و هذه الغايات يعرفها (Lethan Khoï) بأنها "تلك القيم و المعايير التي يحددها فلاسفة و مربو مجتمع ما. و تهي مرتبطة بعصرهم و ظروفهم التاريخية و الاجتماعية التي تثبتها السلطة السياسية لنظامها التعليمي، و يمكن أن تظهر على نوعين:

ـ صريحة: في الدساتير و الخطب و التشريعات.

ـ ضمنية: تستنتج من ملاحظات الواقع و الممارسات الميدانية"[71] .

و يعرفها محمد الدريج "بأنها صياغة لأهداف تعبر عن فلسفة مجتمع، و تعكس تصوراته للوجود والحياة، مثل قولنا: على التربية أن تنمي لدى الأفراد الروح الديمقراطية، أو على المدرسة أن تمحو الفوارق الاجتماعية..."[72]، إلى جانب هذه الوظائف يمكن إضافة أخرى و التي صار يطلق عليها بوظائف المدرسة المعاصرة، بالنسبة للمجتمع، و للأطفال، أما الخاصة بالمجتمع فهي:

ـ نقل تراث الأجيال السابقة، إلى الناشئة.

ـ التبسيط، و المراد به تبسيط المواد المعرفية و المهارات المدرسية المتشابكة و المعقدة، لتصير ميسرة و في متناول التلميذ، و قد تنعكس الصورة فتصير"سائرة في ذلك من البسيط إلى المعقد، و من القريب إلى البعيد، و من المعلوم إلى المجهول، و من المحسوس إلى المجرد"[73].

ـ التطهير، و يقصد به "أن المدرسة مصفية، فلأنها تنقي التراث مما يشوبه من أمور لم تعد مناسبة للحياة المعاصرة"[74].

ـ تنسيق التفاعل الاجتماعي، و التوحيد بين مختلف عناصر البيئة الاجتماعية، من خلال قيامها بعملية الصهر، أي أنها تقوم بتوحيد ميول و اتجاهات التلاميذ و صهرها في بوتقة واحدة، حسب فلسفة المجتمع، و غاياته التي يسعى إلى تحقيقها من خلال عملية التنشئة الاجتماعية. و هذا ما ينعكس على الأفراد من خلال تفاهمهم و احترام بعضهم البعض، حتى يستطيعوا أن يتعايشوا في وطن واحد يجمع شملهم ويوحد أهدافهم و مصائرهم.

أما وظائف المدرسة المعاصرة بالنسبة للأطفال، فيمكن حصرها بدون شرح في:

تحقيق كل من "النمو: الجسدي، والعقلي، والاجتماعي، و النفسي، والروحي و الخلقي"[75].

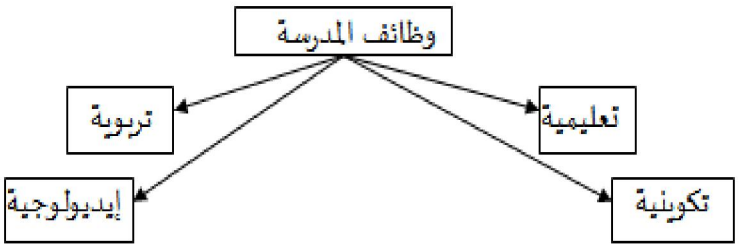

مخطط يوضح: وظائف المدرسة.

6 . دور المدرسة في التنشئة الاجتماعية

لقد تولت المدرسة إلى جانب بعض المؤسسات التعليمية الأخرى جزء كبيرا من أدوار الأسرة و وظائفها الإنتاجية و الاجتماعية في المجتمع، بسبب انحصار نطاق مهامها؛ نظرا لدخول التعليم ساحة التربية، واهتمام المدرسة بتربية النشء و التأثير فيه، و من ثم تشكيل شخصيته، من خلال التنشئة الاجتماعية،التي من خلالها اختزلت أو أدت إلى اختزال جزء كبير من أدوار الأسرة، لأن المدرسة ما هي إلا "مؤسسة اجتماعية أنشأها المجتمع عن قصد، و وظيفتها الأساسية تنشئة الأجيال الجديدة بما يجعلهم أعضاء صالحين في المجتمع الذي تعدهم له، أو بمعنى آخر هي مؤسسة اجتماعية أنشأها المجتمع بقصد تنمية شخصيات الأفراد تنمية متكاملة ليصبحوا أعضاء صالحين فيه"[76].

إن من وظائف المدرسة الرسمية وظيفة التنشئة الاجتماعية باعتبارها وظيفة أساسية، و هذه الوظيفة " شكلت نسقا تعليميا متميزا، يعتمد على نظام مقنن و مدروس، بل و معروف من جانب أفراد المجتمع، بحيث لا يكون هناك لبس أو غموض في مبادئه الرئيسية و من بين " الأهداف المحددة للمدرسة في عملية التنشئة الاجتماعية ما يلي":

. "تُطَوِر المدرسة مجموعة الولاءات الطوعية، و الصداقة، و آداب تلقي الدرس، مصر،و ممارسة النشاط، و سبل الاتصال بالمعلم، و الإداريين...باعتبار المدرسة تنظيم من تنظيمات المجتمع."[77] فضلا أن تخطيط هذه الأدوار يجب أن يتم وفق القيم اعتبارها " إحدى أهم ركائز العمل التربوي، بل هي من أعم أهدافه ووظائفه، و هذه القيم تشكل مبتغى الآباء و المعلمين و كافة المؤسسات التربوية داخل المجتمع و كل هذه المنظومة تسعى إلى تأكيد نسق القيم الإيجابية و تقليص مجال القيم السلبية التي تعيق حركة نمو المجتمع"[78] (رابح طبجون: 2006، ص 10). و المبادئ الأخلاقية و الاجتماعية المتفق عليها في إطار المجتمع العام، أضِف إلى ذلك عملية تلقين أو تعليم مقومات التراث الاجتماعي، و دعم عمليات التكيف الطلابي مع البيئة، و الارتقاء بمظاهر التراث الجمعي من عادات وأعراف و تقاليد، و كل هذه الأعمال تساعد على دور التعليم و تكامله مع كل من الأسرة و المجتمع.

. تعمل المدرسة على التركيز على عملية التعلم من خلال تدريب الأطفال على إدراك الفروق بين أنماط المعيشة، و السلوكيات المنزلية، و بين أنماط المعيشة داخل الوسط المدرسي و ما ينتج عنها من سلوكيات هي الأخرى، وهكذا تقوم المدرسة من خلال التعليم تعديل سلوك الطفل، أو المتلقي للتعليم، و من ثم إعادة تنظيم سلوكه بتعديل إدراكه و تصوره لذاته.

. تقوم المدرسة من خلال العملية التعليمية بإشباع حاجات المجتمع، و تحقيق أهدافه المترابطة و المتبادلة بين أفراده و جماعاته، و تسعى من خلال تعليم الطفل أن يكون في المستقبل بدوره منتجا فكريا و داعية للمبادئ و القيم الأخلاقية التي تلقاها، "و معنى ذلك أن فشل المتلقي للتعليم في القيام بهذه المَهمة، يعني أن هناك خللا وظيفيا في دور المدرسة في التنشئة الاجتماعية. و لهذا فإن على العلم أن يمدّ المجتمع بحاجاته من الكفاءات و المهارات الفنية و الثقافية المدركة لأهداف المجتمع و تطلعاته"[79].

. تتحدد قدرة التنظيم من خلال التنشئة الاجتماعية باعتبارها وظيفة أساسية، و هذا في ضوء ما يربطه بالبناء الاجتماعي ككل، و هذا التنظيم ناتج عن المدرسة باعتبارها تنظيما من تنظيمات المجتمع المتعددة، و تنظيم اجتماعي له ارتباط بالأسرة كنظام اجتماعي من خلال العلاقات التعاونية و التشاركية في مجال الاهتمام بتنشئة الطفل، و هذا ينتج عنه تكامل كل من المدرسة و الأسرة، حتى يؤديا على أحسن وجه الدور المنوط بهما لصالح خدمة الطفل و دمجه اجتماعيا من خلال تشكيل شخصيته الاجتماعية، و فق مسار معتدل لا تضارب فيه، و من هنا كان الدور الجلي للتنشئة الاجتماعية كمادة يتلقاها الطفل من خلال تعاون كل من الأسرة و المدرسة وفق إطار مهيكل و منظم.

خلاصة

من خلال تطرقنا لمفهوم المدرسة و تعريفاتها من جهة، و دون أن نهمل اهتمام المدرسة الجزائرية بالمتعلم الذي صار قبلة للباحثين و الشغل الشاغل للمختصين التربويين، نستطيع القول: ما قاله الدكتور (إبراهيم عصمت مطاوع) في مؤلفه (أصول التربية): "أن المدرسة ليست بدعة تعليمية أو أنها فكرة خيالية طرأت لعدد من المربين الذين ينحون في تفكيرهم منحى نظريا، بل يمكن القول أن المدرسة تعد نتاجا هاما مثمرا لتفكير علمي، و إذا كانت المدرسة قد أنشئت لحاجة اجتماعية، فإن المناهج الدراسية و أساليب التوجيه فيها ووظيفتها ينبغي أن تكون أكثر ارتباطا بعمليات الحياة و حاجات المجتمع...". و هذا الرأي تأكيد على أن المدرسة ذات أهمية بالغة في المجتمع، باعتبارها مؤسسة الهدف منها هو التربية أو ما يطلق عليها بالتنشئة الاجتماعية، فهي مكان للتعليم و التعلم بالدرجة الأولى، و أفراد الوسط المدرسي يدركون هذه الحقيقة و يعلمونها، و يعملون من أجل تجسيدها على أرض الواقع، فالنشاط التربوي هدف المدرسة، و "كل ما تقوم به لتقدم التعليم مبني على أساس قصدي له مسؤوليته.

فالمدرسة تنظيم اجتماعي مشكل عن قصد للقيام بعملية التربية، و ذلك ما يميزها عن المؤسسات الأخرى التي تقوم بالتربية عن غير قصد، أي أنها تنظيم اجتماعي قصدي و شكلي. بمعنى أن لها أهداف تسعى إلى تحقيقها، و هذا التنظيم يحدد العلاقات القائمة بين الأفراد المنتمين إليه لتحقيق أهدافه، وهذه العلاقات ما هي إلا صور للاتصال الحادث في إطار المدرسة، و الذي يطلق عليه الاتصال المدرسي. فلا نتوقع مدرسة بدون اتصال، فهو العصب الذي يحرك أطرافها و يرسل الحياة في أوصالها.

الإحالات و الهوامش:

1- موسوعة الناشئة، "**الاتصالات**"، شركة دار الشمال، طرابلس، لبنان، الطبعة الأولى، 2009، ص 4.

2- عبد الحافظ محمد سلامة، "**وسائل الاتصال و التكنولوجيا في التعليم**"، دار الفكر، عمان، الطبعة الثانية، 1998، ص 14.

3- محمد حسنين العجمي، "**الإدارة المدرسية**"، دار الفكر العربي، القاهرة، (ج م ع)، الطبعة الأولى، 2000، ص 105.

4- محمد مسلم، "**مقدمة في علم النفس الاجتماعي**"، دار قرطبة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2007، ص 101.

5- أميرة علي محمد، "**الاتصال التربوي**"، الدار العالمية للنشر و التوزيع، (ج م ع)، الطبعة الأولى، 2006، ص 25.

6- جمعيات أولياء التلاميذ، (APE)، "**صوت الأولياء**" . LA VOIX DES PARENTS، (النشرة الرسمية)، (FNAPE)، الجزائر، رقم (2)، جوان 1996، ص 13.

7- صليبا جميل، "**المعجم الفلسفي**"، (بالألفاظ العربية و الفرنسية و الانجليزية و اللاتينية)، دار الكتاب اللبناني، ج1، د. ط ، 1982، ص 266.

8- الأعسر، يمن و آخرون، "**أسس التربية و علم النفس في المدرسة الابتدائية**"، مكتبة الشرق، حلب، ط 2، ج 2، 1962، ص 13.

9- رابح تركي، "**أصول التربية و التعليم**"،(د م ج)، الجزائر، (الطبعة الثانية)، 1990، ص 17.

10- مجلة علوم التربية، العدد (28) ، فبراير، سنة 2005 .

11- الميثاق الوطني للتربية و التكوين، "**منشورات المركز المغربي للإعلام**"، دجنبر، 2003.

12- Paul Augé, Petit Dictionnaire Français, Paris, éd, Librairie Larousse, 1973, P 208 .

13- محمد عطية الأبراشي، حامد عبد القادر، "**علم النفس التربوي**"، الجزء (3)، الدار القومية..، ط (4)،1966، ص، ص (236 . 237).

14- http://swmsa.net/Forum/archive/index.php/t-5924.html. p1, 12 /08/2006. AM : 05 :49

15- محمد زياد حمدان، "**المدرسة و الإدارة المدرسية**"، دار التربية الحديثة، عمان، بدون طبعة، 1989، ص 7.

16- (المرجع نفسه)، ص 7.

17- (المرجع نفسه)، ص 10.

18- أدهم عدنان طبيل، "**العلاقة بين المدرسة و الأسرة و مشاكل الطلبة**"، أطفال الخليج ذوي الاحتياجات ص25

- www.gulfkids.com -

19- رابح تركي، "**أصول التربية و التعليم**"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الثانية، 1990، ص 174.

20- (المرجع نفسه)، ص 191.

21- محمد سلامة و محمد غباري، "**الخدمة الاجتماعية للمدرسة**"، القاهرة، (ج م ع)، بدون طبعة، 1989، ص 17.

22- كلير فهيم، "**أولادنا و المدرسة**"، جهاد للنشر و التوزيع،(ج م ع)، الطبعة الأولى،1998، ص 10.

23- محمد عبد الظاهر الطيب، و آخرون، "**التلميذ في التعليم الأساسي**"، منشأة المعارف، الإسكندرية، (ج م ع)، 1982 ص 51.

24- بوبكر بن بوزيد، "**إصلاح التربية في الجزائر رهانات و إنجازات**"، دار القصبة للنشر،الجزائر، الطبعة الأولى، 2009، ص 43.

25- (المرجع نفسه)، ص 43.

26- وزارة التربية الوطنية، "**الدليل المنهجي لتطبيق مادة التربية الإسلامية الطور الثاني**"،(د و م م)، الجزائر، 2002 ،2003، ص 106.

27- محمد زياد حمدان، (مرجع سبق ذكره)، ص 10.

28- إبراهيم عصمت مطاوع، "**أصول التربية**"، دار الفكر العربي،القاهرة، (ج م ع)، الطبعة السابعة، 1995، ص99.

29- المركز الوطني للوثائق التربوية، "**المربي**"، (المجلة الجزائرية للتربية)، العدد التاسع، نوفمبر . ديسمبر 2007، ص 19.

30- وزارة التربية الوطنية، "**أخبار التربية**"، (نشرة إعلامية)، العدد السابع، جوان 1995، ص 6.

31- (نفس المرجع السابق)، ص 6.

32- المرصد الوطني لحقوق الإنسان، "**الإعلان العالمي لحقوق الإنسان**"، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، 1998، ص 11.

33- (نفس المرجع السابق)، ص 11.

34- المرجع نفسه)، ص 11.

35- بوبكر بن بوزيد، (مرجع سبق ذكره)، ص 28.

36- Brevet de l'enseignement primaire

37- إبراهيم عصمت مطاوع، (مرجع سبق ذكره)، ص 100.

38- (نفس المرجع السابق)، ص 100.

39- أدهم عدنان طبيل، (نفس الموقع الإلكتروني السابق) ، www.gulfkids.com -

40- بوبكر بن بوزيد، (مرجع سبق ذكره)، ص 28.

(41) - Brevet de l'enseignement moyen.

42- إبراهيم عصمت مطاوع، (مرجع سبق ذكره)، ص 101.

43- (المرجع نفسه)، ص 101.

44- أدهم عدنان طبيل، (نفس الموقع الإلكتروني السابق).

45- Licence Master Doctorat.

46- إبراهيم ناصر، "**علم الاجتماع التربوي**"، دار الجيل، بيروت، و مكتبة الرائد العلمية، عمان، بدون سنة، ص 72.

47- محمد زياد حمدان، (مرجع سبق ذكره)، ص 5.

48- إبراهيم عصمت مطاوع، (مرجع سبق ذكره)، ص 74.

49- محمد شارف سرير، نور الدين خالدي، "**الفعل التعليمي التعلمي**"، بدون دار طبع و لا طبعة، سنة 1998، ص ، ص (18 . 19).

50- اللجنة الوطنية للمناهج، "**مناهج السنة الرابعة من التعليم المتوسط**"، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، جويلية، 2005، ص 6.

51- محمد زياد حمدان، (مرجع سبق ذكره)، ص 14.

52- اللجنة الوطنية للمناهج، (مرجع سبق ذكره)، ص 6.

53- محمد زياد حمدان، (مرجع سبق ذكره)، ص (15. 17).

54- (المرجع نفسه)، ص 20.

55- (المرجع نفسه)، ص 20.

56- اللجنة الوطنية للمناهج، (مرجع سبق ذكره)، ص 5.

57- (المرجع نفسه) ص 5.

58- مجد هاشم الهاشمي، "**الاتصال التربوي و تكنولوجيا التعليم**"، دار المناهج، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2001، ص 65.

59- محمد زياد حمدان، (مرجع سبق ذكره)، ص 21.

60- (المرجع نفسه)، ص 21.

61- (المرجع نفسه)، ص 23.

62- مجد هاشم الهاشمي، (مرجع سبق ذكره)، ص 59.

63- (المرجع نفسه)، ص 60.

64- (المرجع نفسه)، ص 60.

65- (المرجع نفسه)، ص 60.

66- ماجدة كمال علام و السيد عطية، "**الرعاية الاجتماعية و الخدمة الاجتماعية**"، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، بدون طبعة، 1985،ص222.

67- مصطفى محمد الطحان، "**التربية و دورها في تشكيل السلوك**"، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2006، ص 268.

68- محمد زياد حمدان، (مرجع سبق ذكره)، ص 5.

69- مجلة فضاءات تربوية، العدد الثالث، شهر مارس، 1997، ص 103.

70- أحمد خاطر، "**الخدمة الاجتماعية**"، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، (ج.م.ع)، 1984.

71 - Lethan Khoî, L'Education comparée, Paris, Ed, Armond Colin, 1981, p 44.

72- محمد الدريج، "**تحليل العملية التعليمية**"، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ، المغرب، (د، ط و د، س)، ص 36.

73- صلاح الدين شروخ، "**علم الاجتماع التربوي**"، دار العلوم، عنابة، الجزائر، د.ط، 2004، ، ص ص (75. 76).

74- إبراهيم ناصر، "**علم الاجتماع التربوي**"، دار الجيل، بيروت، و مكتبة الرائد العلمية، عمان، بدون سنة، ص 80.

75- صلاح الدين شروخ، (مرجع سبق ذكره)، ص (76،77،78).

76- إبراهيم عصمت مطاوع، (مرجع سبق ذكره)، ص 73.

77- عبد الهادي محمد والي، "الأسرة و المجتمع"، مدارس الوطنية الخاصة، ص 1، مقتبس من الموقع:
- http://www.wpvschool.com (12/03/2007) (04 :52)

78- المدرسة العليا للأساتذة، "**مجلة منتدى الأستاذ**"، (دورية أكاديمية) قسنطينة ، الجزائر، العدد الثاني، ماي 2006، ص 10.

79- عبد الهادي محمد والي، "**الأسرة و المجتمع**"، مدارس الوطنية الخاصة، نفس الموقع السابق، ص1